كَلِمَةٌ هَادِئَةٌ إِلَى المُتَطَرِّفِينَ

بَادِئَ ذِي بِدْءٍ أَقُولُ: إِنَّنِي لَا أَمْلِكُ سِوَىٰ قَلَمِي وَلَا سِلَاحَ لِي إِلَّا الكَلِمَة، وَأَنَا -كَسِوَايَ- أَتَعَرَّضُ لِإِرْهَابِ هَؤُلَاءِ المُتَطَرِّفِينَ الَّذِينَ أَعْنِيهِمْ بِحَدِيثِي هَذَا.

وَ(**التَّطَرُّفُ**) يَعْنِي أَنَّ هُنَاكَ وَسَطًا لَهُ طَرَفَانِ.

وَ(**الوَسَطُ**) إِنَّمَا هُوَ هَذَا الدِّينُ الَّذِي أَنْزَلَهُ رَبُّ العَالَمِينَ، وَرَضِيَهُ لِعِبَادِهِ وَلَا يَقْبَلُ سِوَاهُ، وَطَرَفَاهُ: إِمَّا إِفْرَاطٌ، وَإِمَّا تَفْرِيطٌ ....

فَـ(**الإِسْلَامُ**) وَسَطٌ بَيْنَ المِلَلِ .. وَ(**أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ**) -المُتَمَسِّكُونَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وَسَطٌ بَيْنَ أَهْلِ الأَهْوَاءِ ... وَسَطٌ بَيْنَ الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ.

(**إِفْرَاطٌ**) يَعْنِي: الغُلُوّ فِي الدِّينِ .. التَّشَدُّد الَّذِي لَمْ يَأْمُرْ بِهِ رَبُّ العَالَمِينَ ..

وَ(**تَفْرِيطٌ**) يَعْنِي: الِانْسِلَاخ عَنْ أَوَامِرِ هَذَا الدِّينِ، وَالخُرُوج إِلَىٰ كُفْرِ العَمَلِيِّ وَالفِسْقِ وَالفُجُورِ، وَرُبَّمَا يُؤَدِّي إِلَىٰ الرِّدَّةِ وَكُفْرِ الِاعْتِقَادِ.

***

وَكَلِمَتِي هَذِهِ مُوَجَّهَةٌ إِلَىٰ أَصْحَابِ الصِّنْفِ الثَّانِي مِنَ العَلْمَانِيِّينَ وَالمُنَافِقِينَ

وَأَشْيَاعِهِمُ الَّذِينَ مَلَأُوا الدُّنْيَا ضَجِيجًا حَوْلَ أَصْحَابِ الصِّنْفِ الأَوَّلِ -وَنَحْنُ نُشَارِكُهُمْ فِي ذَلِكَ؛ فَنَحْنُ لَا نَرْضَى أَنْ يُضَافَ إِلَى هَذَا الدِّينِ مَا لَيْسَ فِيهِ- وَلَكِنَّهُمْ تَمَادَوْا -نُصْرَةً لِأَهْوَائِهِمْ- فَجَعَلُوا كُلَّ الْمُتَمَسِّكِينَ بِأَوَامِرِ هَذَا الدِّينِ فِي سَلَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَرَمَوْهُمْ بِسَهْمٍ وَاحِدٍ، عَسَى أَنْ يَصِلُوا إِلَى بُغْيَتِهِمْ مِنَ القَضَاءِ عَلَى مَا يُذَكِّرُهُمْ وَمَنْ يُذَكِّرُهُمْ بِإِطَارِ هَذَا الدِّينِ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ وَعَلَيْهِ .. وَأَنَّى لَهُمْ ذَلِكَ؟ وَ ُ يُدَافِعُ عَنْ دِينِهِ وَيُهَيِّئُ لَهُ جُنُودًا يُدَافِعُونَ عَنْهُ وَيَنْصُرُونَهُ، وَيَبْذُلُونَ فِي سَبِيلِ نُصْرَتِهِ كُلَّ مُرْتَخَصٍ وَغَالٍ؛ يَفْدُونَهُ بِالْمُهَجِ وَالأَرْوَاحِ؛ مُسْتَهِينِينَ بِ ُلِّ الصِّعَابِ الَّتِي تُوَاجُهُمْ وَالِابْتِلَاءَاتِ الَّتِي لَابُدَّ مِنْ صَبِّهَا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ طَالَمَا اخْتَارُوا السَّيْرَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ؛ الَّذِي لَا طَرِيقَ سِوَاهُ مُوَصِّلٌ إِلَى الجَنَّةِ.

***

أَقُولُ -بِدَايَةً-: كَمَا أَنِّي لَا أَمْلِكُ وَلَا يَمْلِكُ غَيْرِي إِخْرَاجَ إِنْسَانٍ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ وَارْتَضَى أَوَامِرَهُ وَشَرْعَهُ إِلَّا بِدَلِيلٍ وَاضِحٍ صَرِيحٍ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ عِنْدَنَا فِيهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ، وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ عَدَمَ الحُكْمِ بِرِدَّةِ إِنْسَانٍ خَرَجَ مِنْ رِبْقَةِ هَذَا الدِّينِ؛ فَكُتُبُ الفِقْهِ بِهَا بَابُ (**الرِّدَّةِ**) فَلْيُطَالِعْهَا مَنْ شَاءَ ..

أَقُولُ: كَمَا أَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ الحُكْمَ بِ ُفْرِ عَلَى إِنْسَانٍ مُسْلِمٍ لِأَنَّهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا

يَقْدِرُ عَلَيْهِ مُسْلِمٌ ذُو عِلْمٍ وَدِينٍ؛ لَا نَسْتَطِيعُ أَيْضًا أَنْ نَحْكُمَ لِكَافِرٍ -يَأْبَى الإِنْصِيَاعَ لأَوَامِرِ هَذَا الدِّينِ- أَنَّهُ مُسْلِمٌ.

فَكَيْفَ نَحْكُمُ لِمَنْ يَشْمَئِزُ مِنَ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَتَنَصَّلُ مِنَ الانْتِمَاءِ إِلَيْهِمْ بِأَنَّهُ مُسْلِمٌ؟

كَيْفَ نَحْكُمُ لِمَنْ يَحِدُّ لِسَانَهُ وَقَلَمَهُ طَعْنًا فِي الإِسْلَامِ وَتَشْوِيهًا لِكُلِّ مَا هُوَ مُسْلِمٌ أَنَّهُ يَنْتَمِي لِهَذَا الدِّينِ؟

***

فَأَقُولُ -بَعْدَ هَذِهِ التَّقْدُمَةِ: إِنَّهُ حَدَثَ تَوَسُّعٌ كَبِيرٌ فِي اسْتِخْدَامِ كَلِمَةِ **(التَّطَرُّف)**، وَاسْتَخْدَمَهَا العَلْمَانِيُّونَ وَالْمُنَافِقُونَ سِلَاحًا مُشْهَرًا ضِدَّ كُلِّ مُتَمَسِّكٍ بِأَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَلِذَا **أَقُولُ**: يَجِبُ أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى الْمَقْصُودِ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ، وَمَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي يَقْصِدُهُ مَنْ يَسْتَعْمِلُهَا.

فَنَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الْمُتَطَرِّفِينَ مِنَ العَلْمَانِيِّينَ وَأَشْيَاعِهِمُ الَّذِينَ نَتَعَرَّضُ لإِرْهَابِهِمُ الفِكْرِيِّ -لَيْلَ نَهَار- مُحَاوِلِينَ فَرْضَ أَفْكَارِهِمْ بِقُوَّةِ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ وَالدِّعَايَةِ الْمُتَاحَةِ لَدَيْهِمْ وَالْمَمْنُوعَةِ عَمَّنْ سِوَاهُمْ .. وَيَفْرِضُونَهَا بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ إِنْ وَصَلُوا إِلَى سُلْطَةٍ -وَالبِلَادُ الَّتِي وَصَلُوا فِيهَا إِلَى الحُكْمِ شَاهِدَةٌ عَلَى مَا نَقُولُ: فَالسَّحْلُ وَالقَتْلُ وَالتَّشْرِيدُ وَالتَّعْذِيبُ وَالسِّجْنُ هُوَ جَزَاءُ مَنْ يَخْرُجُ عَنْ مَنْهَجِهِمُ العَلْمَانِيِّ،

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَبَاكَى أَذْنَابُهُمْ عَلَى إِرْهَابِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِدِينِهِمُ الَّذِينَ لَا حَوْلَ لَهُمْ وَلَا قُوَّةَ؛ كَمَا يَقُولُ الْمَثَلُ: «**رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ**».

***

نَسْأَلُهُمْ: مَا الَّذِي تَعْنُونَهُ بِكَلِمَةِ (**التَّطَرُّف**) تِلْكَ؛ وَأَنْتُمْ أَصْحَابُهَا وَأَوْلَى النَّاسِ بِهَا؟

* هَلِ الْمُتَمَسِّكُ بِشَرْعِ اللهِ فِي نَفْسِهِ وَفِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .. هَلْ هَذَا الْمُتَمَسِّكُ بِشَرْعِ اللهِ مُتَطَرِّفٌ؟ أَمْ غَيْرُ الْمُتَمَسِّكِ هُوَ الْمُتَطَرِّفُ؟!

* هَلْ مَنْ يُنَادِي بِتَطْبِيقِ شَرْعِ اللهِ -الَّذِي لَا سَبِيلَ لِلنَّجَاةِ سِوَاهُ- مُتَطَرِّفٌ؟
أَمْ مَنْ يُهَاجِمُ مَنْ يُنَادِي بِتَطْبِيقِ شَرْعِ اللهِ هُوَ الْمُتَطَرِّفُ؟

* هَلِ الْمَرْأَةُ الَّتِي الْتَزَمَتْ بِأَمْرِ رَبِّهَا فِي قُرْآنِهِ بِالْحِجَابِ مُتَطَرِّفَةٌ؟
أَمْ تِلْكَ الْمُتَبَرِّجَةُ الْخَارِجَةُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا هِيَ الْمُتَطَرِّفَةُ؟

* هَلْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْمُرُونَ بُيُوتَ اللهِ وَيُحَافِظُونَ عَلَى الصَّلَاةِ مُتَطَرِّفُونَ؟
أَمْ هَؤُلَاءِ الْمُضَيِّعُونَ لِلصَّلَاةِ الْهَادِمُونَ لَهَا هُمُ الْمُتَطَرِّفُونَ؟

* هَلْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحْرِصُونَ عَلَى حُضُورِ مَجَالِسِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ مُتَطَرِّفُونَ؟
أَمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحْرِصُونَ عَلَى حُضُورِ مَجَالِسِ الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ، وَيَعْمُرُونَ

المَلَاهِي وَالحَانَاتِ هُمُ المُتطَرِّفُونَ؟!

* هَلْ هَؤُلَاءِ المُتَوَضِّئُونَ المُتَطَهِّرُونَ مُتَطَرِّفُونَ؟

أَمْ هَؤُلَاءِ المُنْغَمِسُونَ فِي النَّجَاسَاتِ وَلَا يَعْرِفُونَ الطُّهْرَ وَلَا الطَّهَارَةَ هُمُ المُتَطَرِّفُونَ؟

* هَلْ أَهْلُ العِفَّةِ وَالعَفَافِ مُتَطَرِّفُونَ؟

أَمْ أَهْلُ المُجُونِ وَالخَلَاعَةِ هُمُ المُتَطَرِّفُونَ؟

***

إِنَّ مَنْ لَهُ أَدْنَى إِلْمَامٍ بِتَعَالِيمِ هَذَا الدِّينِ؛ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِيبَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الأَسْئِلَةِ:

فَالَّذِي لَا يُطَبِّقُ شَرْعَ اللهِ هُوَ المُتَطَرِّفُ!

وَالَّذِي يُحَارِبُ مَنْ يُنَادِي بِتَطْبِيقِ شَرْعِ اللهِ هُوَ قِمَّةُ هَذَا التَّطَرُّفِ!

إِنَّ الَّتِي تَلْتَزِمُ بِحِجَابِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ وَتُغَطِّي وَجْهَهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوصَفَ بِالتَّطَرُّفِ؛ وَإِلَّا فَسَتُوصَفُ أُمَّهَاتُ المُؤْمِنِينَ بِالتَّطَرُّفِ!!

وَإِنَّ الَّذِي يَلْتَزِمُ بِلِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ بِالتَّطَرُّفِ.

وَإِنَّ الَّذِي يَعْمُرُ بُيُوتَ اللهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ بِالتَّطَرُّفِ.

وَإِنَّ الَّذِي يَدْعُو النَّاسَ لِلرُّجُوعِ إِلَى اللهِ وَالِالْتِزَامِ بِشَرْعِهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ

يُوصَفَ بِالتَّطَـرُّفِ!!

***

فَهَذِهِ -وَلِلْأَسَفِ الشَّدِيدِ- أُمُورٌ يَعُدُّهَا العَلْمَانِيُّونَ تَطَرُّفًا، وَهَذَا -فِي حَقِيقَةِ الأَمْـرِ- اتِّهَامٌ لِلشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّة -الشَّرِيعَةِ الرَّبَّانِيَّة- بِالتَّطَرُّفِ!!

فَيَا مَنْ تَنْزِلِقُونَ وَرَاءَ هَؤُلَاءِ وَتُرَدِّدُونَ عِبَارَاتِهِمْ دُونَمَا وَعْيٌ وَلَا إِدْرَاكٌ: هَلْ تَرْضُونَ بِرَمْيِ شَرْعِ اللهِ وَوَصْفِهِ بِالتَّطَـرُّفِ؟

إِنَّ أَيَّ انْتِقَاصٍ لِشَـرْعِ اللهِ كُفْرٌ يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ .. فَهَلْ تَرْضُونَ بِالإِنْزِلَاقِ إِلَى هَذِهِ الهَاوِيَةِ الَّتِي تَهْوِي بِصَاحِبِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ؟

إِنَّ هَؤُلَاءِ خَلَعُوا رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ وَتَمَـرَّدُوا عَلَى عُبُودِيَّـةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

يَقُولُ الدُّكْتُورُ/ **صَـلَاحُ الصَّاوِي**: "إِنَّهُمْ لَا يُجَادِلُونَ فِي المُتَشَابِهَاتِ الَّتِي يَتَّسِعُ فِيهَا المَجَـالُ لِلتَّأْوِيلَاتِ، وَيُعْذَرُ المُخَالِفُ بِالجَهَالَةِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ وَنَحْوِهِ، وَلَكِنَّهُمْ يُجَادِلُونَ فِي الأُصُولِ القَطْعِيَّةِ وَالمُحْكَمَاتِ الثَّابِتَةِ المُتَوَاتِرَةِ. إِنَّهُمْ يُصَرِّحُونَ بِرَفْضِ تَحْكِيمِ شَرِيعَةِ اللهِ، وَيَصْرُخُونَ بِرَفْضِ الحُدُودِ وَالقَصَاصِ لأَنَّهَا هَمَجِيَّةٌ وَوَحْشِيَّةٌ، وَيَجْهَرُونَ بِإِبَاحَةِ الرِّدَّةِ وَ كُفْرِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ تَحْتَ دَعْوَى (حُرِّيَّةِ الاِعْتِقَادِ)، وَ(عَدَمِ الحَجْرِ عَلَى الفِكْرِ)، وَيَسْتَعْلِنُونَ بِإِبَاحَـةِ الفَوَاحِشِ

وَالْمُنْكَرَاتِ تَحْتَ مُسَمَّىٰ (الحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ)، وَيَزْحَفُونَ إِلَىٰ تَغْيِيرِ مَا تَبَقَّىٰ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ فِي بَابِ الأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ؛ تَحْتَ دَعْوَىٰ (حُقُوقِ المَرْأَةِ وَمُسَاوَاتِهَا بِالرَّجُلِ)! فَمَاذَا تَبَقَّىٰ مِنَ الإِسْلَامِ؟!!".

***

وَأَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَطَرِّفِينَ مِنَ العَلْمَانِيِّينَ وَأَشْيَاعِهِمْ: بَدَلًا مِنْ أَنْ تَتَّهِمُوا غَيْرَكُمْ بِمَا هُوَ فِيكُمْ وَلَيْسَ فِيهِمْ، وَتَرْمُوهُمْ بِدَائِكُمْ وَتَحْمِلُوا عَلَىٰ كُلِّ مَا هُوَ إِسْلَامِيٌّ؛ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ عُودُوا إِلَىٰ رُشْدِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ عِزَّكُمْ إِنَّمَا بِتَمَسُّكِكُمْ بِإِسْلَامِكُمْ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الحَضَارَةُ الغَرْبِيَّةُ هِيَ البَدِيلُ عَنْ هَذَا الإِسْلَامِ، وَكَفَاكُمْ ضَعْفًا وَذِلَّةً وَمَهَانَةً أَمَامَ أَعْدَاءِ اللهِ، فَلَنْ يَرْضَى عَنْكُمُ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعُوا مِلَّتَهُم.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ (البَقَرَة/١٢٠).

***

وَعَلَيْكُمْ أَنْ تُحَدِّدُوا مَوْقِفَكُم -بِوُضُوحٍ وَصَرَاحَةٍ؛ هَلْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ رَبًّا وَإِلَهًا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولًا؟ .. هَلْ تُؤْمِنُونَ

بِأَنَّ هَذَا القُرْآنَ هُوَ كَلَامُ الله؟

إِنْ آمَنْتُمْ بِذَلِكَ؛ فَمَا عَلَيْكُمْ إِلَّا أَنْ تُحَكِّمُوا اللهَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ...

وَنَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الهِدَايَةَ!

***